جامعة دمشق

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

حماسة أبي تمام وحماسة البحتري

دراسة مقارنة

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

بإشراف

الأستاذ الدكتور : عبد اللطيف عمران

إعداد الطالبة : خولة عمر الحليبي

٢٠٠٧-٢٠٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلاصة جدول البحور:

بإمكاننا أن نستنتج من الجدول السابق مايلي :

١- إن الحماستين نظمتا على خمسة عشر بحراً من بحور الشعر العربية الستة عشر المعروفة ، و أن حوالي ثلثيها نظم على البحر الطويل وحده ، فالطويل يحتل المرتبة الأولى في قائمة البحور المستخدمة في الشعر القديم عامة ، وقد يعود السبب في ذلك إلى أنه يوفر نموذجاً منتظماً للنبر من جهة ، و من جهة أخرى يسمح بدرجة عالية من الحرية ضمن حدود هذا الانتظام ، و هو كذلك يسمح بحرية كبيرة في اختيار المكونات اللغوية ، و لا يفرض صيغاً لغوية محددة محدودة ، كما أنه وهذا سبب أهم يتيح مجالاً خصباً لخلق ايقاعات يكون للتوتر و الانسجام فيها بين النبرين اللغوي و المجرد فاعلية فنية عميقة[١] .

٢- يتوزع القسم المتبقي من شعر الحماستين على عدة بحور هي ، الكامل و البسيط ، و الوافر و الرجز و المتقارب و المنسرح ، بينما كان الرمل ، و السريع و الهزج و المديد و المخلع و مجزوء الرمل من البحور التي قلّ أو ندر استخدامها أو كان استخدامها بصفة ثانوية .

٣- هناك بعض البحور التي لم تستخدم بالمرة و هي المضارع و المجتث و المتدارك و المقتضب ، و هذا يعني أن أبا تمام و البحتري لم يختارا إلا ضمن البحور الأكثر استخداماً و دوراناً في الشعر العربي ، مما يدل على أهمية المضمون بالنسبة إلى الرسالة التي تبثها الحماسة طغى على أهمية عرض النماذج الفنية النادرة لهذا البحر أو ذاك .

[١] في البنية الإيقاعية للشعر العربي : كمال أبو ديب ، ص٣٧٦ ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة :

– تناول الباحثون ديوان الحماسة – لأبي تمام – بالشرح والتأويل ، على مدى قرون عدة ، في محاولة جادة لإظهار الجمال الفني الكامن في نصوصه المختارة ، فكان التوجه التعليمي الذي يحمله جيل من العلماء ، يلخص المعاناة التي تكبدها الجيل السابق ويضيف إليها ، دون أن يحول هذا من فعالية النص ، وممارسة تأثيره الجمالي على القارىء باستمرار .

– هذه الدراسة سعت منذ البداية إلى كشف جانب آخر من نصوص الحماسة ، ويتمثل هذا الجانب بالرسالة الشخصية الكامنة خلف الاختيار نفسه . فإذا كان لكل نص رسالته الخاصة ، التي تحمل بين طياتها توجه مصدره الأصلي وعصارة تفكيره ، فإن الاختيار يشارك في فعالية النص ويضاعفها ، وربما استطاع أن ينقلها من سياقها الواقعي ، إلى سياق آخر ، يباين رسالة النص الأصلي ، وهذا ما حققه أبو تمام ، فهو ليس صاحب النصوص المختارة ، لكنه وظف النصوص لخدمة رسالته الخاصة .

– يمكن لنا أن نفهم هذا الأمر من خلال التجارب السابقة لديوان الحماسة ، التي كانت أمينة في تقديم النصوص كما أرادها لها مُصْدرها ، ولذلك صبت هذه المنتخبات في رحاب القصيدة التامة على الأغلب ، لتقدم على أنها النموذج المثالي الواجب تكريسه في الأجيال المتعاقبة .

إن ما فعله أبو تمام ، وكذلك البحتري ، يباين ما سبق ، فقد قسمت الحماسة على أساس الأغراض – التي لم تكن حددت بعد – ثم تم انتخاب النصوص وإلحاقها تحت الغرض الذي تنتمي إليه ، حتى لو اضطر الناخب إلى تفتيت القصيدة الواحدة ، وتوزيعها على الأغراض التي تعبر عنها ، ولذلك رأينا أن المقطوعات الحماسية قد تقتصر على البيت الواحد أو البيتين .

– و على هذا فإن عمل المفضل على سبيل المثال ، هو عمل توثيقي بينما يكمن أن نصنف عمل أبي تمام بالعمل المنظم ، الذي استطاع أن يستخرج من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التراث أدق معانيه ، فتتوسع أفق القراءة ، و تبتعد عن الرتابة أو التوقع الذي تحققه القصيدة الجاهلية التامة .

– هذا السياق الجديد الذي حققه أبو تمام في منتخبه الشعري ، كان الدافع الأول الذي جعل البحث يتحرى دراسة المضمون – النصوص– الذي اختاره أبو تمام للإعلان عن الغرض الذي حدده ، إذ يمثل هذا المضمون في نهاية الأمر ، رؤية أبي تمام الشخصية ، والرسالة التي يريد بثها إلى القارىء ، من خلال ملاحظة واقع العصر الذي عاش فيه وعبر عنه .

– لذلك وجدنا أن الحماسة التي عبرت عنها نصوص أبي تمام في منتخبه ، ليست وقفاً على أدب الحرب وما يعكسه من ظلال قاسية ، تستبد بها القوة المطلقة ، فإلى جانب ذلك وجدنا أن الحماسة هي الشجاعة والقوة ، ولكنها القوة الموجهة نحو الأعداء ، المتسامحة مع ذوي القربى ، وكذلك هي قوة الروابط الإنسانية السامية في حال المديح أو الحب أو الوفاء أو الصدق ...

– وحماسة البحتري حملت منهجاً آخر في طريقة التقسيم ، فإذا كان أبو تمام قد حرر نفسه من رتابة القصيدة ، ليتجول في الأغراض الشعرية الكامنة في عمق تراثنا الشعري ، فقد هبط البحتري من مستوى الأغراض إلى مستوى المعاني ، فكان أكثر تحرراً في التقاط أدق المعاني الشعرية التي بثها الشعراء ، وعبرت عن أدق قضاياهم الانسانية ، وإن فقد في سبيل إظهار هذه المعاني المعلنة ، قدرتنا على الدهشة من محتواها الذي لخصه لنا مسبقاً من خلال عنوان الباب .

– فمع أبي تمام نفكر كثيراً لنعثر على الخيط الذي يربط النص بالغرض ، وكأننا أمام قصيدة من قصائده التي طالما أثارت الجدل ، أما مع البحتري فإننا نختصر المعاناة ، إذ كان غالباً ما يدلنا على مضمون نصوصه ، وبذلك فهو لا يخرج من ثوبه الشعري الذي امتاز بالسهولة والاستواء .

– التقى الرجلان في نقاط عدة ، وتباينا في نقاط أخرى ، لكن ما كان يبدو واضحاً أنفاس اختيار كل منهما ، وهو ذلك الحرص الشديد على القارىء واحترام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــذوق الرفيـــع للفـــن الـــشعري ، مـــع الإصـــرار المتواصـــل علـــى وجـــود الغطـــاء الأخلاقي ، فأنت تستطيع الإحساس بأن الشاعرية التـــي تـــصدر عـــن الانفعـــال فـــي روح كل منهما ، قد حلت مكانها روح المسؤولية على أذهان القرّاء .

لا يـــسعني فـــي النهايـــة إلا أن أتمنـــى أن تحقـــق هـــذه الدراســـة جـــزءاً مـــن هدفها ، وأن تساهم في قراءة جديدة لتراثنا الذي لا ينضب ، والله من وراء القصد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit